



## التصوف اليهودي "القبالاه" المفهوم والتطور د. مبروكة معطى الله - قسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة طرابلس

### المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من سار على نهجهم إلى يوم الدين . وبعد:

يحاول اليهود تصدير فكرة أنهم أمة عظيمة، لها تاريخ تليد، وديانة سماوية تحفل بالروحانيات، وأنهم جديرون وفق ذلك بقيادة العالم وقيام دولتهم المزعومة في فلسطين بعد بناء هيكلهم انتظاراً لقدم " الماشيح " (1) المنتظر، الذي سيحكم العالم ألف عام قبل قيام الساعة.

إلا أن التاريخ الحقيقي يلفه الغموض إثر ما تعرضوا له عبر تاريخهم المليء بالعذابات والتهجير والسبي في ظل كل المجتمعات التي عاشوا فيها ، فتاريخهم غير دقيق وتنقصه الحقيقة في كثير من أحداثه ؛ وذلك لم يمنعهم من اكتساب كثير من الخبرات الحياتية من تلك الشعوب كاللغة والعادات والتقاليد، وحتى طرائق العبادات، وخاصة بين المسلمين ، وبالتحديد في مجال التصوف ، فأدخلوا كثيراً من العبادات الإسلامية الصرفة على شعائرهم ، وهذا ما سوف نتطرق إليه مفصلاً ضمن هذا البحث ، الذي يحتوي على كثير من التساؤلات حول التصوف اليهودي أو ما يعرف " بالقبالاه "؛ أي : تأصيل هذه الفكرة والبحث في جذورها وامتداداتها التاريخية ، وهل هي حقاً نزعة روحانية صرفة؟ أم هي مزيج غريب من التصوف الدينية وشروحاتها إضافة إلى السحر؟ وهل تأسست الفلسفات الغربية المعاصرة على "القبالاه"؟ وهل الصهيونية الثمرة النهائية لهذا التوجه؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه ، ولعل من أبرز أهداف هذا البحث بيان حقيقة "القبالاه"، خاصة وأنها متغلغلة في كل مناحي الحياة كشعارات ورموز لا تكاد تخلو منها وسيلة من وسائل الحياة الآن إلا وتجدر موزها وإشاراتها حاضرة ويقصد وفق تعميم هذه الضلالات والجهالات اليهودية، والهدف الآخر توعية شبابنا المسلم من أخطار هذه الضلالات.



### القبالة المفهوم والتطور.

القبالة لغة : أما من الناحية اللغوية فالقبالة أو القبالة أو الكابالا مأخوذة من الكلمة العبرية من الفم إلى الأذن كناية عن كلمة الله إلى موسى ، وهي تعني : القانون الشفهي ؛ أي: تفيد معنى القبول والتلقي، فـ"قبل"؛ أي : "استلم"، وتفيد معنى التواتر أو التلقي عن السلف (2)، وتعني - أيضاً- لغة التقاليد اليهودية القديمة المرتبطة بالتوراة والمشناة والتلمود وغيرها من مآثورات أقوال الأنبياء وأصحابهم(3).

واصطلاحاً : نزعة تفسيريية وحركة روحية ذات طابع حلولي ، تقوم على تأويل باطني رمزي لنص الكتاب المقدس ، وتركّز على ما للأحرف من قيمة عددية (4).

كما تطلق على مجموع التيارات الصوفية الباطنية التي اشتهر بها اليهود السفراديم(5)، ويقصد بهذه العقيدة عقيدة " عبادة الشيطان"، وهي تقوم على أساس السحر في العبادات، وهي تعاليم شفوية للغاية ، وتنتقل من كبار رجال الدين، كما يحظر على أي يهودي أن يدرس "القبالة" إلا بعد بلوغه الثلاثين ، وتحت إشراف كبار الحاخامات.

وقد قام بجمعها وحفظها الحاخام " أكيفا بن يوسف"، ووضعها في كتاب، وكان يشغل منصب كبار الكهنة في القرن الثاني قبل الميلاد ، إبان حكم الرومان لبلاد الشام وفلسطين، وقام هو ومساعدته "شمعون بن يوخاي" بتقسيم الكتاب إلى سفرين : - سفر يتزرا، وهو كتاب التكوين أو الخلق ، وكُتب في فلسطين وفي بابل أثناء الشتات البابلي في الفترة ما بين القرن الثالث والسادس قبل الميلاد.

- سفر الزوهار(6)، وهو كتاب النور أو البهاء، وكُتب في إسبانيا في القرن الثالث عشر الميلادي على يد موسى بن ليون ، وصار هذا الكتاب الأساس الذي انتشر في بلدان أوروبا في القرون الوسطى ، ويمتلئ الزوهار بالرموز والأسرار التي لا يعرفها إلا الخاصة من الكهنة، وتوجد مفاتيحه في قاموس خاص. ثم وضع كتاب ثالث للقبالة بعد ذلك بمئات السنين في أوروبا، وهو سفر " الباهير" أو النور، وهو اسم كتاب لمؤلف مجهول يُعدُّ أقدم النصوص القبالية ، وقد كان هذا الكتاب معروفاً في جنوب فرنسا في نهاية القرن الثاني عشر ، ويحتوي الكتاب على أول محاولة لشرح النظرية القبالية الحلولية في



الفيض الإلهي ، وفكرة تناسخ الأرواح، كما يحاول الكتاب وضع أسس التفسير الصوفي لحروف الأبجدية العبرية ، كما ترد في الرموز الصوفية القبالية في شجرة الحياة مثلا ، وقد وردت فيه كذلك فكرة التجليات النورانية العشرة (سفيروت) التي تجلت من الإله الخفي ، ويعتمد كتاب الباهير على كتاب سبقه هو سفر يتزيرا (كتاب الخلق) وبينما يميل كتاب الخلق إلى تَبْنِي المنطق الرياضي في حساب التجليات العشرة ودور كل شيء فيها وطبائع الحروف (المائة والنورانية والهوائية) نجد أن كتاب الباهير يميل إلى القصص الأسطوري، وقد كُتِب الباهير بخليط من العبرية والآرامية، وبأسلوب غامض، وبناء الكتاب غير متماسك ، ويبلغ عدد كلمات الباهير اثني عشر ألف كلمة. وظهرت أولى طبعاته في أمستردام عام 1651م(7).

وقد ألُفَت كتب "القبالاه" باللغة العبرية وترجمت إلى لغات عدة. وقبل التطرق إلى التصوف اليهودي لا بد لنا من الوقوف على المراحل التاريخية للديانة اليهودية، تمهيدا للحديث عن التصوف ، وهي ستة مراحل كالتالي:

1- **المرحلة الشفهية.** وهي : تمثل الفترات البدائية الأولى، وتخلو من الكتابة والتدوين ، فكل التعاليم كانت عبارة عن نقل وتواتر شفهي من جيل إلى آخر.

2- **مرحلة الكتابة البابلية** وتمتد من (القرن الأول ق.م إلى القرن السابع)، وهنا يظهر الأثر البابلي ، فدونت التوراة وأسفارها "الأجزاء والفصول" جمعت في كتاب واحد سمي "العهد القديم" الذي أطلق على أسفاره الخمسة اسم "التوراة"(8): كلمة عبرانية تعني الشريعة أو الناموس، ويراد بها في اصطلاح اليهود: خمسة أسفار يعتقدون أن موسى عليه السلام كتبها بيده، وهي خمسة أسفار هي :

1- **سفر التكوين** : ويتحدث عن خلق السموات والأرض، و آدم، والأنبياء بعده إلى موت يوسف عليه السلام.

2- **سفر الخروج** : ويتحدث عن قصة بني إسرائيل من بعد موت يوسف عليه السلام - إلى خروجهم من مصر، وما حدث لهم بعد الخروج مع موسى عليه السلام.

3- **سفر اللاويين**: وهو نسبة إلى لاوي بن يعقوب ، الذي من نسله موسى وهارون - عليهما السلام- ، وأولاد هارون هم الذين فيهم الكهانة ، أي: القيام بالأمور الدينية، وهم المكلفون بالمحافظة على الشريعة وتعليمها الناس، ويتضمن هذا السفر أموراً تتعلق بهم وبعض الشعائر الدينية الأخرى.



4- **سفر العدد:** وهو معنيّ بعدّ بني إسرائيل ، ويتضمن توجيهات، وحوادث حدثت من بني إسرائيل بعد الخروج.

5- **سفر التثنية:** ويعني : تكرير الشريعة، وإعادة الأوامر والنواهي عليهم مرة أخرى، وينتهي هذا السفر بذكر موت موسى عليه السلام وقبره ، وقد يطلق النصارى اسم التوراة على جميع أسفار العهد القديم، إلى جانب أسفار الأنبياء<sup>(9)</sup>، كما دونت الشروح والتعليقات وجمعت -أيضا- في كتاب سمي "التلمود"<sup>(10)</sup>.

3- **المرحلة التنظيمية :** وهي تمثل فترة (القرن الأول ق.م إلى القرن السادس) في فلسطين، ويقود هذه المرحلة النخبة القادمة من بابل بزعامة "يزرائيل" و"ناحيم عزرا"، وفي هذه المرحلة تبلورت الديانة وعقائدها؛ حيث سيطر الحاخامات "الحكماء"، ففرضت الطقوس والعزلة وحرّم الاختلاط بغير اليهود.

4- **مرحلة الانفتاح :** وتمتد من (القرن الثالث ق.م إلى القرن الثاني الميلادي)؛ حيث صارت الإسكندرية مركز لتطور اليهودية ، وأكثر انفتاحا على الفلسفة اليونانية، فظهرت الترجمة اليونانية للتوراة، والتي عرفت بالترجمة السبعينية في القرن الثالث قبل الميلاد، ويذكر أن بطليموس أراد أن يضم إلى مكتبة الإسكندرية الكتب المقدسة لليهود، كما يرى آخرون أنها موجهة لليهود الذين لا يتكلمون اليهودية، وقام بترجمتها اثنان وسبعون من الأبحار<sup>(11)</sup>، كما ظهرت عديد الكتابات اليهودية المغايرة لمضامين التوراة، أطلق عليها اسم الأسفار المنحولة أو غير القانونية<sup>(12)</sup>، وظهرت فيها لأول مرة مفاهيم روحانية ، مثل: خلود الروح، الثواب والعقاب، الجنة والنار، وصارت بذلك ديانة معترف بها، وتصنف من الأديان الكبرى في العالم القديم.

5- **المرحلة العربية الإسلامية:** وتمتد من القرن (السادس إلى القرن السابع عشر الميلادي) عبر بيئات الحضارة الإسلامية من بغداد إلى الأندلس، وبرزت في هذه المرحلة تيارات اجتهادية ، مثل مذهب "القرائين" كانت أكثر مظاهر تأثر القرائين بالإسلام هي تأثرهم بالفكر المعتزلي وعلم الكلام الإسلامي، وقد تبدّى ذلك في أن القرائين قد جعلوا النص المقدّس المكتوب، أي : العهد القديم، المرجع الأول والأخير في الأمور الدينية كافة والمنبع لكل عقيدة أو قانون، مثلما هو الحال عند المعتزلة المسلمين الذين اعتبروا القرآن الكريم أصل كل المفاهيم الدينية ومعظم العقائد والتشريعات، وركزوا على تطوير أصول فقهية لاستنباط الأحكام منه، وقلّدهم القراؤون في ذلك تقليدًا كبيرًا<sup>(13)</sup>. كما تأثروا بالتيار الصوفي الإسلامي في الأندلس،



فظهر موسى بن ميمون (1135م-1204م)<sup>(14)</sup> أهم فيلسوف يهودي في هذه المرحلة ؛ حيث ولد في قرطبة وأقام في المغرب ، وقيل: أنه أسلم وحفظ القرآن الكريم، واشتغل بالفقه، ثم ارتد وتوجه إلى مصر، وأقام في الفسطاط، وكان عالما بالشريعة اليهودية، وحاول إحداث تطوير في الطقوس الدينية، والنزوع إلى التوفيق بين تعاليم الدين اليهودي والفلسفة<sup>(15)</sup>، وبالرغم من تأثيره الكبير بالتوجهات الفكرية الإسلامية المنفتحة والمتسامحة والمنطقية ، تبنى ابن ميمون في الجهة المقابلة مواقف متعصبة للقومية اليهودية ومتطرفة ضد الأديان والطوائف الأخرى، فاحتفظ بقناعاتهم ومعتقداتهم الدينية. وفيها وضع أغلب مؤلفاته، والذي مهد لتبلور أفكار "القبالة" وظهور النزعة الروحية.

**6- المرحلة الأوروبية الصهيونية:** وتمتد من سقوط الأندلس في (القرن السادس عشر وحتى الآن)، وفيها بدأ تحول اليهودية من ديانة سماوية إلى حركة قومية عنصرية، تحاول إعادة أمجاد بنى إسرائيل وقيام دولتهم وإحكام سيطرتهم على العالم، وخاصة بعد ظهور بروتوكولات بنى صهيون، وتنفيذ كل ما جاء فيها من السيطرة على المال العالمي، والتحكم في الشعوب والتجسس على كل المقدرات وإذلال الشعوب وقهرها، والقضاء على كل الثقافات والأديان وأهمها الإسلام وهو ما نشهده في هذا العصر.

### التصوف اليهودي.

يعد التصوف اليهودي أحد ركائز الدين، كما يعتبره كثير من الكتاب اليهود "الركيزة الثالثة" بعد التوراة واللغة العبرية<sup>(16)</sup>، فظهر النزعات الأولى من التصوف اليهودي كانت معاصرة للتصوف الإسلامي، ونهلت من ينابيعه، واستمدت من أساليبه وأدواته التعبيرية، فكل المصادر الدينية اليهودية من نصوص توراتية وشروح أنتجت نزعة روحانية، ثم تحولت على أيديهم إلى نزعة حلولية غنوصية<sup>(17)</sup>، وابتعدت عن التصوف التوحيدي القائم على تطهير النفس وصفائها.

### ويمكن التفرقة بين نوعين من التصوف عند اليهود:

- نوع يدور حول التوحيد ويصدر عن إيمان، ويؤمن اتباعه بالثنائيات الدينية: (السماء - الأرض، الإنسان - الطبيعة، الإله - الإنسان)، وجوهره رياضة روحية غايتها كبح جماح النفس، رغبة في التعبير عن الحب الإلهي، ومنطقا من عدم وجود أي نوع من أنواع الاتصال بين الإنسان والله، ونفي قيام صلة من صلات التوحد فيه ومعه، فالحلول في نظرهم يتنافى مع التوحيد، فغايتهم من التصوف هو الاقتراب فقط؛



أي: الحب الإلهي عن طريق سلوك طريق الخير، والإعلاء من جانب القيم المطلقة حتى تسمو بها النفس وتنتهر.

- نوع آخر من التصوف يدور في إطار حلولي مفاده: (حلول الإله في الطبيعة، والإنسان، والتاريخ)، ويتوحد معهما ويصبح لا وجود له خارجهما، فيختزل الواقع بأسره إلى مستوى واحد، ويصبح القانون واحداً، ومن يستطيع أن يعرف هذا القانون يتحكم في العالم بأسره، وهذه هي الغاية من هذا الضرب من التصوف، ويأخذ على خلاف الضرب الأول من التصوف صور التأويلات الباطنية ووضع التمام والتعويض، والبحث عن الصيغ التي يمكن من خلالها التأثير على الإرادة الإلهية، ومن تم التحكم في الكون، حتى وإن كان مظهر اتباعه الزهد، فهم لا يكثرثون لإصلاح دنيا، أو إصلاح ذات، بل هو فوق الخير والشر، وفوق كل القيم الروحية والمعرفية والأخلاقية، تصوف يهدف إلى تقريب الصلات بين الله ومخلوقاته ضمن إطار واحد أو ما يمكن تسميته (قولة العالم)، فيصير الخالق هو عين مخلوقاته، ومخلوقاته هي هو على حد تعبير (إسبينوزا) : حينما يحل الله في المادة فإن الطبيعة تصبح هي الإله، وبذلك يصبح الصوفي قادراً على التحكم في الإله والطبيعة والكون.

#### مصادر التصوف اليهودي:

أما مصادره فهي مجموعة من التعاليم الباطنية التي تتولى شرح الصلة بين الخالق والمخلوق، وتستخدم بشكل كبير من قبل بعض الطوائف، فهي رغم كثرة التركيز عليها لا ترتقي أن تكون مذهباً فكرياً متماسكاً، فهي لا تعدو كونها مجموعة من النصوص التي توجد خارج إطار الكتاب المقدس، والتي مرت بدورها بمراحل عديدة من النشأة والظهور، وأهم المصادر:

#### المصدر الأول - التلمود "القبالة" نابعة من التوراة :

ولذلك جاء دورها الفعال في العصور التالية له، ومنذ ظهورها أعطت موجة جديدة من موجات الروح اليهودية الخفية، ومن خلال دراسة تاريخ التصوف اليهودي تشكلت حلقات من أتباع (يوحنا بن زكاي)، وهو من معلمي المشناه، ومن مؤسسي التلمودية في القرنين الأول والثاني، وحاولت هذه الحلقات أن تغوص في أسرار الخلق وطبيعة العرش الإلهي، وقد أسهمت أعمالهم في تأسيس أدبيات "الهالاخاه الصوفي" أو "الحجرات السماوية"، والتي ازدهرت في بابل في القرن السابع والثامن، والتي تصوّر سبعة قصور أو عوالم سماوية تسكنها الملائكة التي تسبح بحمد الله، ويوجد عرش الإله، وحسبما جاء في قصص هذا الأدب إنه من خلال التدريبات الروحية



الصارمة من صوم وسهر يمكن أن يشعروا بأرواحهم وهي تصعد من خلال هذه السموات، وتتجلى لهم كل الأسرار وتكشف لهم كل الحقائق، ولعل سفر " تيزيرا" أو كتاب " الخلق" الذي يصف بنية الكون من خلال التجليات النورانية العشرة أو قدرات الرب العشرة "السفيروت" وحروف الأبجدية وقيمتها وقوتها.

ثم انتقل أدب الهالاخاه إلى جنوب إيطاليا ومنها إلى المانيا ؛ حيث ظهر نوع جديد من التصوف وصل منتهاه إلى القرن الثاني عشر، عرف أتباعه " أتقياء المانيا" الذين أكدوا على ضرورة التركيز على العواطف والرغبات الدنيوية، ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه "هبحاسيد" (ت 1217م) مؤلف كتاب سفر حسيديم (18) ؛ أي: "الأتقياء"، وحسيديم : جمع عبري للمفرد حسيد المشتق من الجذر " حسد " تدل على معنى: الاحسان وعمل الخير بصورة عامة ، والجمع حسيديم على جماعات يهودية ظهرت في فترات مختلفة من تاريخ اليهود تزعمها الحاخام " بعل شم طوب " في القرن الثامن عشر الميلادي ، هو مذهب صوفي تأثر بـ "القبلايه" ، الفلسفة الصوفية اليهودية التي سيطرت على الحياة اليهودية في أوروبا في القرن السادس عشر، وتحت الحسيديية أتباعها على البحث عن كل وسيلة للاتحام والالتصاق بالخالق ، بل والتوحد معه، حتى يصل المؤمن إلى القوة الروحية الكامنة ، وذلك عبر حب الإله والثقة به وهجر الحزن والخوف ، ونشأت "الحسيديية" كرد فعل على التشدد الذي أبدته المرجعيات الدينية لليهود في أوروبا الشرقية ، التي تطرفت في إجبار أتباعها على تخصيص أوقات كثيرة لدراسة العلوم الدينية بالإضافة إلى الحث على تهذيب النفس بالصوم والعبادات ، وهو ما دفع الحاخام ( إسرائيل اليعازر) ، الذي كان يطلق عليه " إسرائيل بعل شمطوف" إلى رفض هذه الدعوات ، حيث أخذ يحث على عدم الزهد والصيام، باعتبار أنها مجلبة للحزن؛ وأن الخلاص الجماعي لا يمكن أن يتحقق إلا في آخر الزمان ، وهم جماعات ظهرت في فترات مختلفة في تاريخ اليهود يؤمنون بالفكر القبالي(19).

### المصدر الثاني - المدارس:

من الكلمة العبرية درش، أي : استطلع ، أو بحث ، أو درس ، أو فحص ، أو محص. وهو منهج لتفسير العهد القديم يسعى للتعلمق في بعض آياته وكلماته ، كما يتوسع في تخريج النصوص والألفاظ ، وكافة الإضافات والتعليقات وصولا إلى



المعاني الخفية ، هذا ما أستفاد منه القباليون وأعتبروا ثمرته نواة لتشكيل آرائهم فيما بعد (20).

### المصدر الثالث - المشناه:

كلمة عبرية تعني : يكرر وصارت بمرور الوقت تعني " يدرس " ، وتشير في المجمل الى تدريس وتفسير الشريعة الشفوية ، وخصوصا حفظها وتكرارها وتلخيصها ، والمشناه هي شروح وتفسير ذات طابع موسوعي تتناول أسفار العهد القديم ، وتضم مجموع الشرائع اليهودية التي شرحها معلمو المشناه على مدى ستة أجيال ، وتعتبر من المصادر الرئيسية للشريعة ، وتأتي في المقام الثاني بعد العهد القديم وسميت "الشريعة الثانية" أو "الهالاخاه" وصارت المشناه والهالاخاه مترادفين . فرغم كونها مصدرا أصيلا للقبلاه وأحد دعائمها إلا أنها بمرور الوقت فقدت سطوتها بعد تمرد الحاخامات على التلمود والمشناه ، وصاروا يصدرن الفتاوى استنادا إلى الزوهار وأفكار اسحق لوريا كما سنرى لاحقا فصارت المشناه في نظرهم " مقبرة موسى " ، وصار الحاخام المتمسك بالمشناه " الحمار المشناوي " لأنه يكررها دون فهم (21)

### المصدر الرابع - كتاب " الزوهار " (22)

وهو كلمة عبرية تعني : "الإشراق" أو "الضياء" ، وهو من أهم كتب "القبلاه" ، وهو تعليق صوفي مكتوب بالأرامية ، وينصب على المعنى الباطني للعهد القديم، يعود تاريخه إلى ما قبل الإسلام والمسيحية ، ويضم مجموعة من الأفكار، وتشكل أهم القضايا فيه (الطبيعة والإله)، تضمن الكثير من المقاطع التي تتحدث عن خلق العالم بواسطة الفيض، إذ جرى فيه التفريق بين ما أسماه الكتاب بـ "عين سوف"، وهو المبدأ الأول، غير المحدود، وغير النهائي، والذي لا يمكن أن تدركه العقول البشرية، أو تحيط به، وبين " الوهيم"، الذي ورد اسمه والحديث عنه في التناخ، والذي هو أحد الفيوضات المنبثقة عن عين سوف. من هنا ، فقد عملت القبلاه اليهودية على تصوير المبدأ اللانهائي بوصفه يصير علّة للتطور، وليس علّة الخلق، تمثيلاً غير مباشر، أي : عبر فيض السيفروت. كما وتطرح عديد التساؤلات عن الإله وكيف يكشف عن نفسه لمخلوقاته ، وأسرار الأسماء الإلهية، وروح الإنسان وطبيعتها، ومصيرها، والخير والشر، والماشيح المخلص.





## المصدر الخامس - القبالة "النبوية" أو "اللورانية"

وتسمى -أيضا- " القبالة " المشيحانية " ، والتي صارت بمرور الوقت نصوصا تضاها في أهميتها التوراة والتلمود، وهذا مكن الخطورة في هذه النصوص التي استمدت عبر الزمن طابعا من القداسة، وهي مليئة بفنون السحر التي تمثل جانبا كبيرا من الطقوس الدينية التي يمارسونها خفية.

**مراحل التصوف اليهودي:**

التصوف داخل النسق اليهودي له دلالات انعكست عبر مراحل تاريخية قديمة بدءا بالعهد القديم مروراً بالشرعية الشفوية ، وانعكست هذه الطبيعة الحلولية من خلال شيوخ أفكار مثل " شعب الله المختار " ، " وأمة الروح " ، " والأرض المقدسة " ، وتعد "القبالة" ثورة على التراث الحاخامي إلا وهي ضاربة في القدم ، فاذا تتبعنا جذورها وامتداداتها التاريخية يمكن الوصول إلى القرن الأول قبل الميلاد عبر جماعة الأسينيين، وفي أسفار الرؤى (أبو كاليبس) واعتبرها بعضهم أنها جاءت من تعاليم "القبالة" عند قدماء المصريين عند مغادرتهم مع موسى - عليه السلام - ، يقول الكاتب اليهودي برنار لا زاربه: " اقتنع الرأي العالمي لأسباب كثيرة بميل اليهود إلى السحر، الأمر الذي يدعو إلى القلق هو اقتناعهم بهذه الفكرة .. وأن لها نصيبا من الصحة إلى حد ما ، لاسيما وقد كانت منتشرة في القرون الوسطى، وكان الناس يعتبرون اليهود سحرة ممتازين، وفي التلمود دروس خاصة في الدجل، ونحن عاجزون عن تتبع العلوم الإبليسية في التلمود وخاصة القبالة"<sup>(23)</sup>.

وتراث "القبالة" الصوفي تراث ضخم وضع أسس التفسيرات الصوفية الحلولية في الزوهار والباهير، وحلت محل التوراة والتلمود ، بعد انتشار الحركات المشيحانية الصوفية الحلولية بين الجماعات اليهودية عبر التاريخ، فكان التفسير الفلسفي نادرا ولم يظهر بينهم إلا تحت تأثير الحضارة الإسلامية كفيلون السكندري الذي كان متأثرا بالحضارة الهيلنستية ، ولم يعرف العبرية مطلقا.

## "القبالة" في طورها الأوروبي ونشوء مدرسة إسبانيا:

ظهرت في فرنسا وكان من أهم العارفين بها "إبراهام بن داوود" ، وابنه إسحق الأعمى ، اللذان بدأ يتداولان كتاب "الباهير" الذي ظهر بادئ الأمر في بروفانس بفرنسا في القرن الثاني عشر، ثم انتقل مركز " القبالة " بعد ذلك إلى إسبانيا بالتحديد في قطالونيا، وحينما تذكر إسبانيا في تاريخ " القبالة " كمرحلة حديثة متطورة فنحن نتكلم عن " الزوهار " ومؤسسه الحبر اليهودي "موشي ديلون" الذي ينسب الزوهار



إليه، وبالتحديد في القرن الثاني عشر والثالث عشر، ففي السابق كانت تعاليم "القبلاه" كلها شفوية وطقوسها سرية.

فنشأت هناك حلقات من التصوف تسعى للتواصل مع الإله من خلال التأمل في حروف الكتاب المقدس وقيمتها العددية، ومن أبرز متصوفي هذه الفترة إبراهيم بن شموئيل أبو العافية (1240م - 1291م)، ووصلت هذه الفرقة إلى منتهى أفكارها بظهور كتاب "الزوهار" الذي تنسب له الأنساق القبالية التي ظهرت بعد ذلك، كما كان لهم مركزا في مدينة صفد بفلسطين عام (1421م)، وكان من دواعي انتشار "القبلاه" في هذه المرحلة رفضا للتراث التلمودي الذي وضعه الحاخامات الذين ارتبطوا بالأثرياء ويهود البلاط في إسبانيا، كما رفضوا التراث الفلسفي الذي أسسه ووضع دعائمه موسى بن ميمون وغيره من الفلاسفة المتأثرين بالفكر الإسلامي، ونعتوا كتب هؤلاء المفكرين بالكتب الشيطانية.

وفي القرن الرابع عشر والخامس عشر انتشرت "القبلاه" في إيطاليا وبولندا بعد طرد اليهود من إسبانيا عام (1493م)، وظهر نوع جديد من "القبلاه" عرف "باللورينانية" نسبة إلى إسحق لوريا، الذي طور الكثير من المفاهيم القبالية، فبدأ اليهود يناقشون قضايا العالم الآخر؛ أي: (مشاركة الإنسان اليهودي الحقيقة مع الله)، وتم الربط كذلك بين النزعة المشيكانية التي تؤمن بـ(عقيدة الخلاص لدى اليهود)، ولهذه الآراء أصداء في التاريخ، ولا زالت تؤرق كل يهودي إلى عصرنا، متمثلة في رغبتهم في السيطرة على الكون وبروز نزعتهم القومية والعرقية، فاللورينانية تربط بين السيطرتين على الباطن والظاهر، فمن خلال التدريبات الصوفية الفردية الباطنية للخلاص الفردي، ثم هناك نزوع آخر نحو الخلاص الجماعي من ربة الاستعباد للشعوب الأخرى التي أذاقتهم الويل، ومن تم السيطرة على الكون بأسره، فاللورينانية تعلي من شأن النزعة القومية على حساب النزعة الفردية، فقد كرس الربى شمعون لوريا مجمل وقته خدمة لهذا المشروع.

### "القبلاه" خارج إسبانيا.

بـخروج اليهود من إسبانيا بين عامي (1479م - 1492م) خرج بذلك كبار القباليين وانتشرت أفكارهم في شمال إفريقيا وإيطاليا والشرق الأوسط (القرن الخامس عشر الميلادي)، وصارت أكثر تأثيرا على أهل المناطق الجديدة، وبحلول منتصف القرن السادس عشر وأصبحت "القبلاه" عنصرا أصيلا في الحياة اليهودية، فظهر



جيل جديد عمل على المحافظة على تراث الآباء والأجداد ، وامتزجت في هذه المرحلة التعاليم الربانية مع الآراء الفلسفية والقبالية والسحر .

كما كان لها حضور في البيئات الجديدة بعد إقامة اليهود فيها فلسطين، وبالتحديد في صدد، وبعد (القرن السادس عشر) صار القدس من أهم مراكزها، وعلى مدى قرن من الزمان كانت صدد ميدانا للتطورات، خاصة بعد مجيء (يوسف كارو) و(شلومو هاليفي)، اللذان قاما بتأسيس مركز كان نواة للنشاطات القبالية، ولعل أبرز الشخصيات في فلسطين هو (موشيه لوردو هيرو) (1522-1570م)، وقد جمع بين قبالة إسبانيا وقبالة فلسطين، وبعد وفاته تطورت تعاليمها على يد تلميذه (إيزاك لوريا)، فطور بدوره وعمق كثير من الآراء والسلوكيات، فانتشر نوع جديد من "القبالة"، إلا أن تعاليمها في أغلبها شافية تفتقر إلى التدوين وكان دورها هامشيا.

### مرحلة الأندلس :

نجد من الذين قاموا بتطوير التصوف اليهودي في الأندلس قبل تهجيرهم الحاخام إبراهيم أبو العافية (1240-1291م)، وهو صوفي قبالي، ولد في إسبانيا، انظم إلى دراسة الشريعة، والتلمود، والدراسات القبالية، اطلع على دلالة الحائرين لموسى بن ميمون، وقام بتفسيره وفق المنهج القبالي، تنقل بين فلسطين، واليونان، وإيطاليا، وغالبا ما ظهرت حالات التصوف في الوسط اليهودي في أوقات معينة، ولم تستمر طويلا، فلقد غلب عليه ظهور النزعات الحلولية، إضافة إلى توظيفه في المرحلة المتأخرة خدمة للمشروع الصهيوني، فهو المغذي للحرب، والاستيطان، والاقنتال، واغتصاب الحقوق.

ومن أبرز متصوفة اليهود موسى بن ميمون، ويمكن ملاحظة النزعة الحلولية في فلسفته بشكل واضح، ويعود الفضل في نزعه العقلية للفكر الإسلامي، وابنه الحاخام إبراهيم بن ميمون (1186-1237م) الذي ترأس قبل بلوغه العشرين عاما الطائفة اليهودية في مصر بعد وفاة والده، ترك العديد من المخطوطات التي كانت في مجملها عبارة عن أجوبة لكثير من التساؤلات المطروحة آنذاك، وجدت بعد وفاته في "كنيس عزرا" بالفسطاط في القاهرة، وهو أحد ممثلي المنهج الصوفي في العبادة اليهودية التي تسمى "الحسيدوت" المشتقة من الحسيديم أو "التقوى"، وهم جماعات يهودية ظهرت في فترات مختلفة، وهم يؤمنون بالفكر القبالي، يقول: "إن اليهود قد نسوا هذه التقاليد الروحية في خضم محن المنفى، وأنه لا بد لهم من العودة لممارستها"<sup>(24)</sup>، كما أضاف سلسلة من التعديلات في الطقوس والسلوكيات الإسلامية والصوفية، وعلى سبيل



الحصر يمكن ذكر بعض الأشياء التي أضافها إبراهيم بن ميمون على التصوف اليهودي:

- ضرورة غسل اليدين والقدمين قبل الدخول إلى الكنيس اليهودي لأداء الصلاة (25).

- الدخول إلى مكان العبادة وانتظار الصلاة كما كان يفعل المسلمون.

- انتظام المصلين في صفوف والتوجه نحو القدس، ويقول في هذا الشأن: "إن أبانا إبراهيم حدد القبلة في جبل المرايا كما يتوجه المسلمون نحو الكعبة" (26).

- الخلوة.

- الأناشيد وإقامة الذكر.

- ضبط الأنفاس ومراقبتها كنوع من الرياضات الروحية.

- حركات الرأس والإيماءات الخاصة.

- الانخراط الذي يصل إليه في حالات الذكر الشديد.

### المرحلة الحديثة :

أما في العصر الحديث فنجد المرحلة الحديثة. أن سبينوزا (27) بفلسفته الحلولية في مقدمة المفكرين اليهود، ويبدو أنه مثل ماركس متأثر بالنزعة المشيخانية في اليهودية وهي نزعة حلولية واحدية معادية تماماً للتاريخ وللحدود وتري أن كل تفاصيل التاريخ والكون تفاصيل مؤقتة ، تؤدي جميعاً (في نهاية الأمر وفي التحليل الأخير) إلى العصر المشيخاني (والفردوس الأرضي عند نهاية التاريخ) الذي سيحدث فيه تغيير كامل لكل شيء. وهذه النقطة عند ( إسبينوزا ) تأخذ شكل الإدراك الكامل لقانون الضرورة والحتمية، وهي المعرفة الشاملة بكل الأمور بحيث يصل الإنسان في معرفته إلى مرتبة الآلهة، وهي معرفته بأنه ليس ثمة حرية ولا معنى خاص له ، وأنه جزء من كل مادي يتحرك حسب قوانينه الذاتية التي تستطيع الإرادة الإنسانية التدخل فيها ، وتحولت هذه الفكرة عند ماركس إلى فكرة الحتمية التاريخية وقوانين الجدل المادية التي ترتفع بالإنسانية جمعاء إلى المجتمع الشيوعي (في نهاية الأمر) حيث يتم التحكم الكامل في الذات والموضوع. ومع هذا، يجب تأكيد أن هذه النزعة المشيخانية السياسية العلمانية هي تيار واضح بين المفكرين العلمانيين الغربيين سواء كانوا من أصول مسيحية أم كانوا من أصول يهودية . بعد إسبينوزا لم يظهر داخل التشكيل الحضاري الغربي ولمدة قرنين من الزمان فيلسوف مهم من بين أعضاء الجماعات



اليهودية. فجميع الفلاسفة البارزين من أعضاء الجماعات اليهودية وُلدوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدأوا يكتبون في العقود الأولى من القرن العشرين. فظهر فكر عضوي يتحدث عن " تفرّد اليهود" وعن "الشعب العضوي" و"حركة التاريخ اليهودي" و"الشخصية اليهودية". وتبلور هذا الفكر في نهاية الأمر في الفكر الصهيوني. ولعل الانتقال من فكر حركة الهسكلية، أي: "التنوير" أو "الاستنارة"، وقد أُطلقت هذه الكلمة على الحركة التي ظهرت بين يهود أوروبا في منتصف القرن الثامن عشر "حوالي 1750م - 1880م"، والتي كانت تتنادي بأن على اليهود أن يحاولوا الحصول على حقوقهم المدنية الكاملة؛ عن طريق الاندماج في المجتمعات التي يعيشون بين ظهرانيها. إلى فكر العداء للاستنارة يتبدّى في ظهور اليهودية الإصلاحية (ثمرة حركة الاستنارة والتفكير الآلي) ثم اليهودية المحافظة (ثمرة حركة العداء للاستنارة والتفكير العضوي). ويبدو أن الفلاسفة من أعضاء الجماعات اليهودية يحققون بروزهم داخل الحضارة الغربية في لحظات الانقطاع الحادة. فإسبينوزا ظهر عند ولادة المنظومة العلمانية في إطار العقلانية المادية (وتواري المنظومة المسيحية) وعبر عنها بأبلغ تعبير. أما (برجسون) (28)، و (هوسرل) فظهرا بعد ميلاد اللاعقلانية المادية (بعد مقتل العقلانية المادية على يد نيتشه) وهما أيضاً عبّرا عنها بأبلغ تعبير بداية من القرن السابع عشر بعد أن فشلت "القبالة" اللوربانية، ولم يعد في إمكانها الصمود في وجه موجات التطور والحداثة، فكان لزاماً أن تتخذ "القبالة" أوجه جديدة أكثر ملائمة لروح العصر، ولعل من أهم شخصيات "القبالة" في القرن السابع عشر الياهو بن سلومون زالمان المعروف "غاؤون فيلنا" (1720م-1797م)، ويعقوب أمون (1776م-1797م)، وفي المجمل فإن "القبالة" الحديثة هي اللوربانية، إلى جانب القباليين السيفارديم في أكاديمية "بيت إيل" في القدس، ويعود لهذه المدرسة الدعوة إلى قيام دولة بني إسرائيل خاصة بعد حرب 1967م، وكان في مقابل هذا ظهور المدارس القبالية التي انتشرت وذاع صيتها، وعاشت في وجدان كل يهودي، إلا أن هذا لم يمنع ظهور بعض الدخلاء، وبالتحديد في بولونيا، مثل: "إسرائيل البدولي" الذي أسس جماعة "الحسيديم"، وهي طائفة حديثة ظهرت في بولونيا عام 1740م، وتعود تعاليم هذه الجماعة إلى الزوهار، وإن كان مؤسسها غير ملتزم بتعاليمها، والتي تدور في مجملها حول فكرة أن الكون صورة من صور الله، بل الكون كله الله، وأن الشر عنصر من عناصره، فالشر وفق ذلك ليس سيئاً في حد ذاته، بل مكمّن السوء حينما يتصل



بالإنسان، ومن ثم فلا وجود مادي للخطيئة، وكان بارعا في فنون السحر، فالتفت حوله الاتباع الذين خرجوا عن تعاليم التلمود ومبادئه بسببه.

ولعل من أبرز تأثيرات ذلك ظهور الجمعيات القبالية في القرن الثامن عشر "الفرانكيين" نسبة ليعقوب فرانك 1755م، الذي استطاع استمالة الكثير من الاتباع في بولونيا، والذين آل بهم المطاف بخروجهم من اليهودية إلى النصرانية كما فعل هو نفسه، تم استقر في ألمانيا وتوفي عام 1791م، وخلفه صموئيل فوك زعيم الشعب اليهودي، الذي كان يدعي أنه يمتلك قوى خفية، وأنه يستطيع اكتشاف الكنوز، وحكم عليه بالحرق لآتهامه بالسحر، ففر إلى إنجلترا؛ حيث وجد الترحاب، ومات فيها عام 1782م.

### الفكر القبالي اليهودي وأثره في الفكر الغربي المعاصر:

يعتبر المفكر المصري عبد الوهاب المسيري من أبرز الكتاب العرب الذين اهتموا بهذه القضية، كما عمل على كشف جذور الفكر القبالي اليهودي، وتأثيره على الاتجاهات الفكرية المعاصرة في أوروبا في تيار ما بعد الحداثة وخطابها الذي أسهم في تأسيسه أعضاء مدرسة "فرانكفورت" المنحدرون من أصول يهودية، هذا الخطاب الذي اعتبر تحديا لنزعة الحداثة، وتجاوزا لقيمتها، فانقدوا مشروع الحداثة، وهاجموا أفكار عصر "الأنوار"، معتبرين "أن العقل الذي جاء لتحرير الإنسان الغربي من سلطة الكنيسة انحرف عن مساره، وتحوّل إلى قوة قمعية تمارس سلطتها على الإنسان، شأنه في ذلك شأن العلم ومنتجاته التكنولوجية، وطرخوا آراء كالتشويؤ، والاستلاب، والاعتراب، وهو الشعور الذي لازم اليهود عبر تاريخهم، وضمن كل البيئات التي أقاموا فيها، وهذا سبب "اهتمامهم منذ بداية أمرهم بتكريس قدر كبير من بحوثهم الاجتماعية لقضايا الطبقة -الطبقة العاملة- ومشكلاتها، وألوان الظلم الذي تتعرض له"<sup>(29)</sup> بشكل عام والتفكيكية بشكل خاص، وتطرق إلى ذلك في موسوعته "اليهود واليهودية والصهيونية" للتعريف بالقبالة، وتوّرط كثير من المفكرين للتمهيد لفكر الصهيونية، وهي حركة يهودية تسعى بكل الوسائل إلى إعادة مجد بني إسرائيل، وبناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى المبارك، ومن تم السيطرة على العالم وحكمه من القدس على يد ملك اليهود المسيح المنتظر<sup>(30)</sup>، فأغلبهم كان ينضوي في جمعيات يهودية سرية، وظلوا على صلة وثيقة بنزائهم القبالي<sup>(31)</sup>، كما أشار سعد البازعي في كتابه "المكون اليهودي في الحضارة الغربية"، وأشار الفيلسوف الألماني (يورغن هابرماس) إلى قيام هذا التأثير القبالي والفلسفة الألمانية بقوله: "غير إننا حين نقوم



بتشريح التركيبية الثقافية التي تميز الفلسفة الألمانية في القرن العشرين، ونعاين عناصرها ونقدر أوزانها، ونلاحظ بما لا يدع مجالاً للشك وحتى في الميادين التي يعتبرها البعض مقصورة على الألمعية الألمانية، غلبة أولئك الذين يريدون هذا الحكم المسبق قذفهم خارج ساحات الإبداع"<sup>(32)</sup>، ويعتبر (كانط) أعظم تجلي لامتزاج التراث القبالي في الفلسفة الألمانية، وقد أبرز تأثيرات اليهودية على فكر (كانط) التي أضفت على فلسفته طابعاً من الروحانية مهما لاستمرها، وبالتحديد "البروتستانتية"<sup>(33)</sup>، كما اعتبر طه عبد الرحمن (كانط) النموذج الأمثل لهذا التداخل بين الفلسفة الألمانية والديانة اليهودية<sup>(34)</sup>، كما يذهب بعض المفكرين إلى رد نظريات (فرويد) إلى أصولها اليهودية الذي كان شديد الاعتزاز بيهوديته، الأمر الذي جعله في إحدى مؤلفاته يشن الهجوم على الإسلام، ويعتبر "قيام الديانة المحمدية كان تكراراً على نطاق ضيق للديانة اليهودية، وأن الديانة المحمدية ظهرت مقلدة للديانة اليهودية"، كما أنها ديانة ينقصها العمق الذي تحلت به اليهودية"<sup>(35)</sup>.

وأبرز تجليات القبالة ظهرت فيما يعرف بـ"التفكيكية"، والتي تحمل في مضمونها دلالات الهدم والتقويض والتخريب والتشريح، ويعتبر الفيلسوف الفرنسي (جاك دريدا) أول من استخدم "التفكيكية" في معناها الاصطلاحي وأخر ستينيات القرن العشرين، بغية تفكيك بنية الخطاب، وهي في تصوّره هدم منهجي للميتافيزيقا الأوروبية، وقد بدأت في واقع الأمر مع المشروع التحديثي الغربي، وتصادت حدثها في القرن التاسع عشر، ثم وصلت إلى قمته مع الحركة التفكيكية في أواخر القرن العشرين"<sup>(36)</sup>، أما عن صلتها العميقة بالقبالة؛ بل وتتجاوزها للصهيونية، على اعتبار أن التفكيكية ورثة التراث القبالي اليهودي، ويجملها عبد الوهاب المسيري في النقاط التالية:

- إن كثيراً من الأفكار التفكيكية وما بعد الحداثة ذات أصول يهودية، وتتشابه مع الأفكار القبالية، مثل: التمرکز حول اللوغس، و"الاختلاف"، و"الأثر" التشتيت، و"الكتابة الأصلية"، و"الثنائية"، و"العمل والنص".

- التمرکز حول اللوغس. يؤكد المسيري أن "التمرکز حول اللوغس في التراث اليهودي حالة مستحيلة من تغوص في أعماق الماضي حينما كان يهود يحل في الشعب ويقوده في البادية، ويدخل معه في علاقة حوارية مباشرة، كما يوجد التمرکز حول اللوجوس في نهاية التاريخ في اللحظة المشيحانية، حين يجمع الإله شعبه المبعثر ويحل



فيه، ويقودهم مرة أخرى إلى أرض الميعاد ليسود العالم، أما فيما بين اللحظتين، وهو التاريخ بأسره، فإن الإله غائب و"اللوجوس" غير موجود، فلا يمكن التمرکز حوله على عكس ما يتصوره المسيحيون، فهي حالة تبعثر وتشتت وصيرورة عبثية كاملة"<sup>(37)</sup>.

- التفكير سمة أساسية في الصهيونية، فالصهيونية بتأثير "القبالة" الحلولية تقوم بتفكيك كل من اليهودي والعربي ضمن عملية التهجير، فيصبح اليهودي هو المستوطن والفلسطيني هو المهجر<sup>(38)</sup>.

- تقوم على تدمير الأخلاق في العالم ونشر الرذيلة والتجسس والإرهاب والحروب والفتن، وهي التي تعتبر الكذب والغدر من الفضائل، كما يعتبر الدكتور أحمد شلبي "أن مصادر الفكر اليهودي هي العهد القديم والتلمود والبروتوكولات"<sup>(39)</sup>، فهي الجهاز التنفيذي لليهودية العالمية التي تسعى إلى تدمير العالم والتحكم في مصائره<sup>(40)</sup>.

كما يمكن المقارنة ما بين التفكيرية والقبالة من أوجه شبه، يمكن تلخيصها كالتالي:

- كلاهما يهتم بالتصوف اليهودي القبالي.

- الاهتمام بكل ما له صلة باليهود، سواء أكانوا كتاب أو فنانيين أو مثقفين.

- اعتمادهم على نظرية ( فرويد ) في التحليل النفسي.

- اللجوء إلى طرق التفسير اليهودية في "المدراش" وتوظيفها باعتبارها استراتيجيات نصية تفسيرية.

- الميل إلى النزعات الثورية والمضادة لما هو سائد في الآداب الغربية.

- شعورهم بالاختلاف وأنهم يحملون خلفيات مباينة لباقي الشعوب المحيطة.

- النزعة الرسولية لدى بعضهم باعتبارهم رسل ثقافة أو مصلحين<sup>(41)</sup>.

هذا ويعتبر المسيري أن آراء ( فرويد ) عن الإنسان والكون جزء لا يتجزأ من المشروع اليهودي القاضي بتقويض الأديان والثقافات وهدمها خدمة للمشروع اليهودي، أما عن أشهر نظرياته حول " التحليل النفسي " التي لا يمكن فهم أبعادها إلا في ظل الفكر القبالي اليهودي، فالجهاز النفسي يتكون فرضياً من ( الهو id ) ، وهو الصورة البدائية للشخصية التي يقوم المجتمع بتهذيبها، وتضم الغرائز والدوافع والعدوانية، و ( الأنا ego ) ، وهو مركز الشعور والإدراك الحسي الداخلي والعمليات العقلية، و ( الأنا الأعلى super- ego ) ، وهو مستودع الماديات والأخلاق والضمير والمعايير الاجتماعية كالخير والحق والعدل، فهو بمثابة سلطة داخلية أو رقيب نفسي<sup>(42)</sup>، وبالرغم من اختياره هذه المصطلحات اليونانية أسطورة أوديب إلا أن





توظيفها قباليا فيقال : أن كلمة "id" هي اختصار "بيد"، ومن اليديشية؛ أي : يهودي<sup>(43)</sup>.

ويمكن إجمال أوجه التشابه بينها وبين "القبالة" قيام كليهما على فكرتي تفسير "الأحلام" و"الجنس"<sup>(44)</sup>، فقد اعتمد ( فرويد ) في تفسيره للأحلام على تقنية تجزئة الحلم إلى أجزاء، ثم يحصل الترابط بينهما وفقا لكل قطعة على حدة أمام مصطلحات جهازه النفسي ، أما عن صلة القبالة بفكرة الجنس التي ارتكز عليها فرويد فإن العملية توصف بأنها المعرفة ، وضمن إيمانهم بالحلول أن علاقة الإله بالشعب اليهودي تدخل ضمن هذا المفهوم.

وأهم مفكر ديني يهودي ( مارتن بوبر )<sup>(45)</sup> الذي اهتم بالتصوف اهتماما شديدا، ويعد من أبرز أقطاب التصوف في تاريخ الفكر الحديث في الغرب الذي ينحى نحو النزعة الحلولية في التصوف، هذا ويمكن القول بأن ( بوبر ) هو والمفسر والمترجم المعاصر للخبرة الحسيدية . فقد كان ينظر إليها كينبوع للتجديد الروحي لليهودية ، بما هي تؤكد على جوانبها الاجتماعية والخاصة . فالمبدأ الحسيدي يقتضي، بحسب ( بوبر ) ، حياةً توجد فيها الألوهة مع الإنسان وجودًا دائمًا، ولا تميز فيها بين الحياة الخاصة والخبرة الروحية. وفي هذا المفهوم، كانت المساهمة الرئيسية لفلسفة ( بوبر ) الأنثروبولوجية التي تنطلق من اعتبار العلاقة بين الإنسان والآخر حوارية، وفهم بوبر الحسيدي هذا عرضة لانتقادات لاذعة من الكثيرين من بني ملته الذين وصفوا مفاهيمه تلك بالرومانسية، كما رفضوا تجاوزه لشريعته اليهودية. وهذا في نهاية المطاف من قبيل الهزل، لأن مقارنة بوبر الفلسفية والحسيدية لم تكن في الواقع إلا لإثبات أن التدين الحقيقي للإنسان إنما يتجاوز العقائد.

ومنذ عشرينيات القرن الماضي و( بوبر ) يدعو إلى دولة ثنائية القومية، ويهيب باليهود إلى الإعلان عن رغبتهم في التعايش في سلام وتأخ مع العرب، بحيث تتطور هذه الأرض المشتركة بينهما إلى وطن يكون بوسع كلا الشعبين فيه أن يفتحا عن أبعادهما كاملة ، ومن هذا المنطلق كان فهم ( بوبر ) للصهيونية يرفض تحويلها إلى مجرد قومية، بما ينجم عن هذا الفهم من إقامة دولة يسيطر فيها اليهود على العرب. فمن منظوره، كان يجب على الصهيونية التوصل إلى تسوية يتعايش فيها اليهود مع العرب، ولو أدى ذلك إلى بقاء اليهود أقلية في هذا الوطن المشترك، فنراه، منذ العام 1925م، ينخرط في حركة تحالف السلام الداعية إلى إقامة دولة ثنائية القومية، لذا، ومن منطلق



إيمانه العميق بأنه سيأتي يوم يعيش فيه العرب واليهود في سلام جنبًا إلى جنب، نراه، منذ قيام دولة إسرائيل في العام 1948م ، وحتى وفاته في العام 1965م، يدعو إلى انخراط إسرائيل في فدرالية شرق أوسطية واسعة والتخلي بهذا عن مفهوم الدولة القومية الضيق.

### فلسفة "القبلاه" :

تقوم فكرة "القبلاه" على ما يسمى "شجرة الحياة" ، وهي شجرة أصلها في السماء وفروعها على الأرض، وتتكون من عشر طبقات ، ومبدأ التجليات (السفירות) هو التطور في عملية التجلي وما يتبعها من فيض كل يؤدي إلى شيء آخر، وهنا يلاحظ تأثر فكرة التجليات هذه بالأفلاطونية الحديثة عند حديثها عن الرؤية الفيضية للخلق . وتنقسم التجليات النورانية إلى ثلاث مجموعات عقلي، مادي، وروحي. وترتيبها كالاتي:

### المجموعة الأولى تضم:

التجلي الأول – كيتير عليون أي التاج وهو الفيض الذي انبثق من (الآين سوف) وهو حلقة الوصل بين اللامحدود والمحدود.

التجلي الثاني – حوخمه – الحكمة- وهو الفكر الإلهي الذي يسبق الخلق ويمثل الأب. التجلي الثالث – بيناه – الفهم – العقل الذي يميز بين الأشياء وتمثل الأم. و(الحكمة) و(الفهم) انبثقا من التجلي الأول وهو التاج.

### المجموعة الثانية تضم:

التجلي الرابع – جيدولاه – الرحمة يمثل الأب. التجلي الخامس – جيوراه – العدل- ويمثل (أم)، وهي مصدر الحكم الإلهي والشريعة، وينتج التجلي الرابع والخامس التجلي السادس وهو تفئريت – الجمال.

### المجموعة الثالثة تضم:

التجلي السابع وهو نيتسح أي النصر. والتجلي الثامن – هود وهو المجد وينتج التجلي السابع والثامن التجلي التاسع يسود عولام أي أساس العالم. أما التجلي العاشر – ملكوت – أو السيادة

التجليات النورانية العشرة تمثل ما يعرف في التصوف اليهودي (ادم قدمون) ، وهو الإنسان الأول أو الأصلي الذي يوجد الملكوت عند قدميه وتشكل أعضاء جسمه التجليات العشرة. فالتجليات الثلاث الأولى تشكل رأسه، والتجلي الرابع والخامس



ذراعاه، والتجلي السادس صدره، والتجليات السابع والثامن ساقاه، والتجلي التاسع عضو التذكير. أما التجلي العاشر فيشير إلى الصورة كلها. وفكرة ( آدم قدمون) فكرة غنوصية تصوّر الإنسان الأول. وخلافا لليهودية البسيطة تعلم " القبالة" أن خلق العالم قد تم عبر سلسلة من الفيض والانبثاق من الألوهية، "علم نشأة الكون" والتراكيب المطلقة "السفروتات العشرة" (46) كموضوع مثير، في وقت تتجه فيه الأنظار نحو الغرب تلتمس لديه أصداء التجربة الحضارية، وفي ذلك تتجلى أهمية البحث في مثل هذا الموضوع، وفي هذا الوقت الذي تسوده التيارات وتتنازع الأهواء، من أجل الوقوف عليها وكشف سلبياتها. إن أولى النفحات الإلهية تحتوي على النجوم والسدائم، ثم الكواكب السبعة، ويخرج من التاج نفتان: الأولى عن يمينه والثانية عن شماله، ثم الطبقة الداخلية التي تضم الأرض والإنسان وسائر المخلوقات، وعلى كل طبقة يوجد ملاك حارس، إلا الطبقة السفلى ما بين الأرض والقمر فهي تعج بالشياطين الذين يمنعونها من الاتصال بهذا العالم، أما القلة التي تستطيع أن تنفذ إلى هذه الطبقات فهم الذين يعرفون كلمة المرور، وأن المعرفة والعلم هما الوسيلة لهذا المرور، ولعل أهم تلك العلوم هي السحر، وأن روح الإنسان أثناء هبوطها للجسد تمر بكل هذه الطبقات، وتكتسي بكل طبقة صفة، كما أنها في حنين دائم إلى العودة لذلك الأصل، ولعلنا نلاحظ بجلاء عديد التأثيرات الشرقية واليونانية لهذه الفكرة، أو هو الأساس التي قامت عليه كثير من النظريات كالفيض. وتدور موضوعاتها حول البحث في طبيعة الكون والإنسان والطبيعة والغاية من وجودهم، وتطرح العديد من التساؤلات الوجودية حول هذه القضايا، وبالتالي تسعى بكل السبل لفهم طبيعة هذه العلاقات المتداخلة التي تشغل العقل اليهودي، كما شغلت وحيرت عقول كثير من الشعوب منذ الأزل.

### الحركات المنبثقة عن التصوف اليهودي:

#### الشبتانية:

لقد مهد الفكر القبالي اليهودي العقل اليهودي لفكرة "الماشيح" المخلص، وأدعى "شبتاي تسفي (تركي الأصل)" بأنه المخلص لليهود، وأنه سوف يقوم بوضع حد لمعاناتهم واضطهادهم من قبل الشعوب الأخرى، وعودتهم مجددا لأرض الميعاد، أرض الآباء والأجداد في فلسطين، هذا وصدقه كثير من اليهود، وأخذوا يستعدون للعودة، وانتقل الفكر الشبتاي إلى كثير من القيادات والحاخامات، مما مهد للحركة الصهيونية، ولا بد لهم من ترك فكرة الانتظار، بل لا بد لهم من الإسراع إلى النهاية، ليبدأ العصر المشيحاني "بظهور" الماشيح"، وهذا ما جعل ( هرتزل) يعجب بشبتاي تسفي،



وقد حدد 18 يونيو 1666م تاريخاً لبداية العصر المشيخاني، وهنا تبرز الصلة الوثيقة العميقة بين القبالة والصهيونية، وبالفعل تم انضمام القباليون التلموديون إلى مؤتمر بازل (1897م) تحت راية (هرتزل)، وفي هذا المؤتمر الذي اتخذت فيه عدة مقررات "بروتوكولات بني صهيون" خدمة للمشروع الصهيوني، الذي استفاد كثيراً من أفكار "القبالة"، ولعل ما نجده في البروتوكول السابع عشر، الذي يجعل مهمة كل يهودي التطوع والتجسس على كل مسيحي ومسلم عندما تقوم الدولة الداودية المزعومة، والغريب أنه حين قبضت عليه السلطات التركية بتهمة إثارة الفتنة الدينية اعتنق الإسلام ظاهرياً باسم (عزيز محمد أفندي)، تحت مبدأ التقية، ولعل أبرز آرائه أن "القبالة":  
- تنهض لمحاربة الشر.

- الإيمان بالهين اثنين إله لليهود وآخر للناس كافة.

- الاعتقاد وفق الحلول بالشيخناه، وهي حلول الله في الشعب اليهودي.

- كل الموجودات هي فيض من رب العالمين، وهو العلة الأولى، ومنه كان إله بني إسرائيل العلة الثانية، ثم باقي الموجودات فيضاً منه فيما يسمى "تسيم تسوم"<sup>(47)</sup>.

ولما مات شبتاي 1675م ادعى ناثن الغزاوي أنه لم يقبض ككل البشر، ولكنه رفع وساح في الفضاء، وانتشر مع الضياء العلوي، وغلاة الشبئية هم "الدونمة"، وهو لفظ أطلقه الأتراك على أتباع شبتاي، ويعني: "الفرقة القائمة على نوعين من الأصول"<sup>(48)</sup>، الفرانكية نسبة إلى يعقوب فرانك، وتعود نشأتها إلى عام 1759م، حين تنصر هو وأتباعه وأبطنوا عقيدتهم الغنوصية؛ حيث كان يعتقد بتناسخ الأرواح، وتصل الحلول إلى منتهاه على يديه، فيقول بحلول الله في المادة، لتصبح وحدة وجود مادية كاملة، وتصبح المادة مقدسة، ويصير الإنسان إله، وتقلب القيم رأساً على عقب، فيتساوى الخير والشر، والوجود والعدم، وتبدو الإضافات التي على "القبالة" ويتحدّد إسهام فرانك في أنه خلّص القبالة من رموزها الكونية المترابطة المركبة، ووضعها في مُصطلح شعبي مُزخرف، وفي إطار أسطوري، بل طَعَّمها بصور نصرانية مألوفة لدى يهود شرق أوروبا، الذين اختلطوا بالفلاحين السُّلاف في الريف، وابتعدوا عن مراكز الدراسة التلمودية في المدن. وتدور الفرانكية حول ثلاثة أفكار رئيسية وهي:

1- الإله الخير، وهو إله خفي يختبئ وراء أعضاء الثالوث، ولا علاقة له بعملية الخلق؛ لأنه لو خلق الكون لكان الكون كله خير مثله، وكان خالداً أبدياً، لا نهاية له مثله وحياة الناس أبدية.



2- الأخ الأعظم، يسمى بالذي يقف أمام الإله ، وهو الإله الحقيقي للعقيدة الذي يحاول العبد التقرب منه ، ومتى ما نحج العبد في الاقتراب منه يستطيع الإطاحة بحكام العالم الثلاث: (قيصر روسيا، السلطان العثماني، قوى أخرى).

3- الأم "علماء " أو العذراء "بتولاه" أو هي مزيج من العذراء الشيخناه والعذراء مريم، وهي صورة الأنثى في الثالوث الفرانكي، وفي الخلاص يظهر "ماشيح "جديد يكمل الطريق، ولا بد أن تظهر الأم كتجسيد مادي للعنصر الأنثوي، ولكي يحدث الخلاص ينبغي أن يسير المؤمن بالعقيدة الفرانكية في طريق عيسو، وهو رمز تدفق الحياة، الذي سيجرر الإنسان والحياة ، فهو قوة لا تخضع لأي قانون، بل هو قانون حالة من السيولة الكونية.

هذا وشن فرانك حرباً شعواء على التلمود ، وأعلن أن الزوهار هو وحده الكتاب المقدس لذا الفرانكيون ويدعون باسم " الزوهاريين"، ومع هذا وصلت العدمية بفرانك إلى منتهاها، إذ طلب من أتباعه التخلي عن الزوهار نفسه ، وعن كل تراث قبالي وكانت كل هذه الأفكار تعمل على إعداد أتباعه للتنصر الماراني الظاهري؛ حيث كان لهم شرط أساسي هو الاحتفاظ بشيء من هويتهم اليهودية العلنية، كأن يمتنعوا عن حلاقة سواالفهم، وأن يرتدوا الثياب الخاصة بهم ، ويبقوا أسماءهم اليهودية إلى جانب أسمائهم النصرانية الجديدة، وألاً يأكلوا لحم الخنزير، وأن يستريحوا يوم السبت.

### الحسيدية :

من "حسيدوت"<sup>(49)</sup>، وهي مصطلح مشتق من الكلمة العبرية حسيد ؛ أي: تقي، ويقصد بها الرجل الصالح الذي يعامل الناس بالحسنى، وينفذ وصايا الرب، وقد اعتبروا أن الرجل الصالح له تأثير في الحياة، وظهرت الحسيدية لدواعي لعل أبرزها:

1- الفقر المستشري بين اليهود في ظل ما يعيشونه من أزمات اقتصادية خانقة في بولندا؛ حيث طرد أغلب اليهود أصحاب الحانات والقرى الصغيرة، مما زاد من كثرة عدد المتسولين واللصوص والعاطلين، واستطاعت الأحزاب الاشتراكية والثورية ضم هذه الطبقات الصغيرة الكادحة ضمن صفوفها.

2- كثرة عمليات القتل والإحباط الجماعي بعد فشل حركة شبثاي تسفي وتحوله إلى الإسلام.

3- الإحباط النفسي من جراء التحولات الاقتصادية<sup>(50)</sup>.



4- التخلف الثقافي، وصاحب هذا الوضع الاقتصادي المتردي تدني الحياة الثقافية، وصار اليهود يعيشون "الجيتو"<sup>(51)</sup> شبه منعزلين عن العالم ومنعزلين عن المراكز التلمودية في المدن الكبرى، وتحولت اليهودية إلى ديانة شكلية، وصارت الديانة خالية من المضمون الروحي.

5- انتشار السحر والشعوذة والتراث القبالي. ويبدو من خلال تتبع مراحل "القبالة" وأوجه اكتمالها وصلتها العميقة أولاً بالسحر، ولعلّ هذا يعود للتأثيرات المصرية القديمة، فاليهود عاشوا في مصر القديمة، والسحرة كانوا يمثلون في مصر القديمة كل ما توصل إليه الفكر الإنساني من علم وفلسفة وطب، وهم الأداة التي تسير عليها البلاد في حكمها، وبالتالي كانت تقام الطقوس السحرية، وتشكلت بذلك دراية لديهم بعلوم السحر وفنونه التي احتفظوا بها وضموها إلى معتقداتهم الدينية، والقبالة مليئة بالسحر وتبحث عن الشيطان والأرواح الشريرة وتأثيرها على البشر، وهو كتاب يعج بالطلاسم والتنجيم، وهدفه الإضرار بالناس من غير اليهود<sup>(52)</sup>، كما تبحث في علم الأموات ومصيرها بعد الموت، فاليهودية تخلد للجنة، أما أرواح غير اليهود فتخلد في جهنم، ويمكن ذكر بعض الأفكار باختصار:

- كل منا يوجد على شماله ألف عفريت، وعلى يمينه عشرة آلاف.
- إن تأثير النجوم تجعل الإنسان ذكياً وثرانياً، وهم تحت تأثير النجوم.
- يجوز للناس إن يستشيروا الشيطان في أحد أيام الأسبوع (الجمعة) في قضاء أمورهم.

## الخاتمة:

من خلال ما سبق يخلص البحث إلى الآتي:

- 1- ظهر التصوف اليهودي في فترة اتسمت بالفوضى في مجتمع بني إسرائيل، فبعد موت سليمان - عليه السلام - انقسمت الدولة سياسياً وضعفت، كما انحرف الدين اليهودي عن مساره، وتأثر بالعقائد الوثنية للدول المستعمرة والمجاورة، وأضحى المجتمع يشعر بضياح الهوية وعدم الانتماء.
- 2- القضايا التي يتناولها التصوف اليهودي "القبالة" أهمها قضية الخلق والتكوين، وطبيعة الإله وعلاقته الحسية بالإنسان اليهودي، وموضوع الخلاص والمخلص، وهي نفس موضوعات التوراة وكتب العهد القديم والتلمود، حتى أصبح الدين اليهودي والتصوف شيء واحد يصعب التمييز بينهما.



- 3- القبالة أخطر الكتب اليهودية السرية لتغللها في العقول الضعيفة ، فهي تعتمد على علوم السحر والشعوذة والأساطير والخرافات.
- 4- إن تغلغل الفكر الصوفي القبالي في الوجدان اليهودي جعله بالغ التأثير في كافة التيارات الدينية والسياسية في المجتمع الإسرائيلي لدرجة عميقة ، وسعى واضعوها إلى تحقيق مجموعة من الغايات والأهداف.
- 5- الحفاظ على مبادئ الدين اليهودي، وما ينطوي عليه من تطرف وعدوانية حيال الشعوب الأخرى.
- 6- تعاليمها تذكر هذه النظرة الحاقدة نحو الشعوب من عدوانية وتعصب، ما جعلهم يفكرون في الكيد والانتقام من تلك الشعوب.
- 7- إشباع غريزة اليهود الانتقامية من الشعوب باستخدام أعمال السحر وسائر الطقوس الشيطانية ليلحقوا الأذى بهم حتى ولو لم يروا نتيجة أعمالهم، إلا أنهم يخفون من غلواء حقدهم المكبوت.
- 8 - تعد تعاليم " القبالة" أقرب للشعوذة ، والتي ليس لها سند ديني أو علمي يقبله العقل أو المنطق، إلا منطق الشر والكراهية والحقد على سائر الشعوب الأخرى، وما أدواتهم في الضرب من السحر إلا الشياطين الذين يلتمسون منهم العون لتحقيق أغراضهم الانتقامية.

## الهوامش :

- 1- الماشيح هو المخلص اليهودي، ومنه المشيحانية، وهي الإيمان بأن الماشيح سيصل نهاية الزمان والتاريخ ليملاً الدنيا عدلاً، ويؤسس مملكته، وهي الفردوس الأرضي، ويؤسس مملكة صهيون في فلسطين، ويبطش بأعداء اليهود، ويحكم العالم. انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج 8، ص 30.
- 2- هدى درويش، عقيدة القبالة ودورها في تشكيل العقلية اليهودية العنصرية المعاصرة، رسالة المعرفة، العدد الثاني، السنة الثالثة عشرة، مركز تنمية البحوث، القاهرة، 2004م، ص 240.
- 3- أحمد الجداد، قراءة في التصوف اليهودي، الدار العربية للنشر، أبو ظبي، 1998م، ص 66.
- 4- قاموس أديان ومعتقدات شعوب العالم، مكتبة الحكمة، إعداد مجموعة باحثين، د. صلاح قنصوه وآخرون، ط 1، 2004م، ص 393.
- 5- أحمد الجداد، قراءة في التصوف اليهودي، ص 66.
- 6- الزوهار، يذهب بعض الحاخامات إلى أن موسى عليه السلام بعدما استلم التعاليم على جبل سيناء لم ينقل هذا العلم إلى شيوخ بني إسرائيل، لكنه نقله إلى الكاهن أرون الذي نقله بدوره إلى اليعازر، إلى أن جمعت التعاليم الشفوية في شكل كتاب سمي القبالة أو الزوهار نسبة إلى اسم الزوهار الذي يعني الضياء والنور؛ لأنه حسب زعمهم شرح لكتب موسى وتطبيق على أسفاره الخمسة.
7. محمد خليفة حسن :، تاريخ الديانة اليهودية، بدون ناشر، القاهرة، 1996، ص : 213
- 8- أحمد شلبي: اليهودية، النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية،، 1988م، ص 244.

- 9- أسفار الأنبياء. وهي نوعان: أسفار الأنبياء المتقدمين، وهي: أربعة: يوشع بن نون، القضاة، صموئيل، الملوك، وتتكون الثانية من أربعة أسفار، ثلاثة منها مسماة بأسماء: أشعيا، وأرميا، وحزقيال، والسفر الرابع الاثني عشر، وتضم تعاليم اثني عشر نبيا آخرين. انظر: أحمد شلبي، اليهودية، النهضة المصرية، القاهرة، ط 8، 1988م، ص 244.
- 10- التلمود، وتعنى التلمذ أو التعلم، وهو مجموعة من المأثورات الشفهية اليهودية، وهو في المرتبة الثانية بعد التوراة، ويتكون من جزأين: المشنا، وهي النص المسجل للقانون اليهودي الشفاهي التقليدي، وتلحق الفقرات القصيرة من المشنا بشروح مستفيضة، والجزء الثاني، ويسمى الجمارا، وتتكون من 63 قسما، تعرف بالرسائل التي تنقسم إلى ستة أجزاء، يتناول كل جزء موضوعا مختلفا، مثلا جزء "ناشيم" يتعلق بالنساء والزواج والطلاق، وكل ما يتصل بالعلاقة بين الرجل والمرأة، كما تتناول أجزاء أخرى موضوعات أخرى كالنظافة، والأعياد الدينية، والقانون المدني والجنائي. انظر: أحمد أبيض، التلمود كتاب اليهود المقدس، دار قتيبة، دمشق، 2006م، ص 55.
- 11- انظر: سلوى ناظم، الترجمة السبعينية للعهد القديم بين الواقع والأسطورة، دار الكتاب، ط 1، 1988م، ص 2.
- 12- وهي مجموعة من الأسفار تقرها كل الكنائس الأرثوذكسية ضمن العهد القديم، ترفضها أغلبية الطوائف اليهودية، وأسفارها هي: سفر طوبيت، سفر يهوديت، سفر المكابيين الأول، سفر المكابيين الثاني، سفر الحكمة، سفر يشوع بن بيراخ، سفر باروخ، تنمة سفر أستير، وتنمة سفر دانيال. انظر: عبد الوهاب المسيري، اليد الخفية، دار الشروق، القاهرة، 1989م، ص 29.
- 13- جعفر هادي حسن: تاريخ اليهود القرائين منذ ظهورهم حتى العاصر الحاضر، دار المعارف للنشر، الطبعة الثانية، بيروت، ، 2014م. ص 101 ص وفيما يتعلق بصفات «الألوهية»، نادى القراؤون اليهود بنفس ما نادى به المعتزلة المسلمون، معتبرين أن بعض الصفات هي صفات معنوية بحثة ولا يجوز اعتبارها صفات حسية مادية، وكان هدف القرائين من ذلك هو ما يمكن تسميته "عقلنة" المعتقدات اليهودية. وقد كان علماء المسلمون يسمون القرائين بـ«أهل العدل والتوحيد» تماما كما سُمي المعتزلة من المسلمين 105
- 14- هو فلكي وفيلسوف وطبيب يهودي، ولد في قرطبة في الأندلس عام 1135 وتوفي في القاهرة في 13 ديسمبر عام 1204، عرفه العرب باسم أبو عمران موسى بن ميمون بن عبد الله، ولقبه الغرب بـ "ميمونيدس"، تلقى تعليمه الديني على يد والده الذي كان قاضيًا في المحكمة الشرعية في قرطبة، وكان في سن الـ13 عندما استولى الموحدون على قرطبة وأجبروا اليهود على اعتناق الإسلام أو النفي، فاختارت عائلته الرحيل وهاجروا إلى إسبانيا ثم استقروا في المغرب ودرس ابن ميمون بجامعة القرويين الطب والفلسفة،
- 15- انظر: عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1989م، ص 39.
- 15- أحمد عثمان، تاريخ اليهود، مكتبة الشروق، القاهرة، 1994م، مج 1 ص 126.
- 16- الغنوصية كلمة ذات أصول يهودية، وتعد أساسا في اليهودية الحاخامية، وفي تراث القبالة، وهي المكون الأساس وراء كل الأنساق الحلولية عبر التاريخ. انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج 8 ص 219.
- 17- اليهود الحاسيديم. ويعد اليهود الحاسيديم الأكثر اعتناقا القبالة، وهم فرقة يهودية باطنية روحانية نشأت في أوربا الشرقية نهاية القرن السابع عشر، عمدوا على تطوير التراث القبالي والمعتقدات القبالية. انظر: د. جعفر هادي حسن: اليهود الحاسيديم نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، تقاليدهم، منشورات دار القلم - الدار الشامية، الطبعة الأولى، 1994م، ص 5.





- 18 - هدى درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام دراسة مقارنة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2006م، ص 126.
- 19 - عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج 5، ج2، الباب السادس كتب التفسير . -20
- 21 - المصدر السابق: مج 5، الجزء الثاني، الباب السادس، مدخل: المشناه
- 22 - الحسيني معدي، القبالة وشفرة التوراة والعهد القديم، دار الكتاب العربي دمشق، القاهرة، ط 1، ص 25.
- الحسيني معدي : القبالة وشفرة التوراة والعهد القديم، ص12<sup>23</sup>
- 24- انظر: عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م، ص39.
- 25 - هدى درويش: الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية اليهودية، والمسيحية والإسلام دراسة مقارنة، منشورات عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2006م، ص 126
- 26 - جيل المرايا: وهو الجبل الذي بنى عليه سليمان الهيكل بالقدس انظر: موسى بن ميمون دلالة الحائرين، ترجمة وتقديم: حسين أتابي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص 656.
- 27 - هاجم إسبينوزا اليهودية واليهود، وأشار البعض إلى أنه بسبب ذلك لا يمكن أن يكون صهيونياً. فعداؤه الشديد لليهود أدى به إلى طرح اقتراح صهيوني حين قال: "بل إنني لأذهب إلى حد الاعتقاد بأنه لو لم تكن مبادئ عقيدتهم [أي اليهود] قد أضعفت عقولهم، ولو سنحت الفرصة وسط التغيرات التي تتعرض لها أحوال البشر بسهولة، فقد ينشئون مملكتهم من جديد، وقد يختارهم الإله مرة ثانية." انظر عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية، مج 8 ص114
- 28 - أحد أهم الفلاسفة الفرنسيين في مطلع القرن العشرين. (1859م-1941م). دخل برجسون مدرسة المعلمين العليا الشهيرة عام 1878، وفي عام 1881م، حصل على الليسانس في الرياضيات والآداب معاً، ودرس من سنة 1878م إلى 1881م في المدرسة العليا للأساتذة في باريس، وهي المؤسسة المسؤولة عن تدريب أساتذة تحصل على الأستاذية في الفلسفة عام 1881م.؛ فقد عيّن أستاذاً بالكوليج دي فرانس عام 1900م، وانتخب عضواً بأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية عام 1901م، ثم عيّن بالأكاديمية الفرنسية، وحصل على جائزة نوبل في الآداب عام 1908م. ومن أشهر مؤلفاته التطور الخلاق (1907م)، و منبعا الأخلاق والدين (1932م). جميل الحاج: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، قاموس عربي انجليزي، ط 1، مكتبة لبنان، 2000م، ص 99. ويمكن رصد البُعد اليهودي في فلسفة برجسون فيذهب إلى أن اليهودية ديانة مغلقة من وحي مجتمع مغلق، وأنها دين ساكن جامد، أخلاقه مغلقة تحمل الفرد على الإخلاص بشكل غريزي للجماعة. وإذا كانت اليهودية تُعَلِّم اليهودي التشبث بالحياة، ثم يُعرِّف برجسون إله الصوفية بأنه حياة ومحبة تعبر عنهما تلك الوثبة الحيوية التي تُصَدِّر عنها ديانة المتصوفين، وهم ودهم الذين يتلقون عن تلك الطاقة الخلاقة التي هي الأصل في رؤاهم وكشوفهم، وعلى عاتقهم تقع مسئولية توجيه الإنسانية إلى حياة مستقرة مليئة بالمحبة والتعاطف. وإذا ما أردنا أن نحدّد البُعد اليهودي في فلسفة برجسون، فإننا سنجد أنه أقرب إلى إسبينوزا منه إلى اليهودية الحاخامية. فكلاهما يهاجم جمود اليهودية ولكنه يدور في إطار وحدة الوجود (الروحانية والمادية)، وكلاهما يُغَيِّب الإله بأن يجعله مجرد قوة دافعة للمادة أو للزمان كامنة فيها تتخلل ثناياها وتضبط وجودها. ولكن وحدة الوجود ليست سمة من سمات اليهودية وإنما هي أيضاً السمة الأساسية للرؤية العلمانية المتمركزة حول الإنسان أو المادة أو حول الإنسان باعتباره مادة، فكأن فكرة وحدة الوجود هي الإطار الذي ينتظم كلاً من اليهودية والعلمانية وكلاً من إسبينوزا وبرجسون، وكذلك كل

- الفلاسفة اليهود وغير اليهود الذين يتحركون في هذا النطاق انظر: عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية مج 8، ص 127.
- 29 - عبد الغفار مكاي، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، تمهيد وتعقيب نظري حوليات كلية الآداب، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت الحولية، 13، ص 17.
- 30 - عبد الله التل، خطر اليهودية العالمية، ص 158.
- 31 - لقد تغلغل هؤلاء في مختلف الثقافات والعلوم، واسهموا بأرائهم خدمة للمشروع اليهودي، ونستطيع أن نحصر بعض الأسماء، وهي كافية لفهم هذا التأثير، ففي مجال الفيزياء نجد: ماكس بلانك، والبرت إنشتاين، وفي علم الاجتماع: إميل دوركايم، وماكس فيبر، وتيودور أدورنو، وفي علم النفس: فرويد، وأدلر، وفروم، وفي الفلسفة: أسبينوزا، وبرجسون، وكارل ماركس، وهوسرل، وليفيانس، ودريدا، وفي مجال اللغة والأدب: لوكاتش، وبلوم، وشتاينر، وكافكا، وفي مجال الأنثروبولوجيا: ليفي ستراوس. انظر: سعد البازغي، المكون اليهودي في الحضارة الغربية، ص 22.
- 32 - يورغن هابرماس، الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي، ترجمة وتقديم نظير جاهل، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، بيروت، ط 1، 1995م، ص 49 ص 50.
- 33 - يورغن هابرماس، الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي، ص 50.
- 34 - انظر: طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، ص 61.
- 35 - سيجموند فرويد، موسى والتوحيد، ترجمة: عبد المنعم الحفني، مطبعة الدار المصرية، ط 2، 1978م، ص 189.
- 36 - عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج 3، ص 443.
- 37 - المصدر السابق، مج 5، ص 242.
- 38 - المصدر السابق، مج 5، ص 443.
- 39 - أحمد شلبي، اليهودية، ص 235.
- 40 - خطر اليهودية، ص 171.
- 41 - انظر: سعد البازغي، المكون اليهودي في الحضارة الغربية، ص 378، ص 379.
- 42 - انظر: حمودة إسماعيلي، عقدة فرويد، منشورات دار الكتب، ط 1، القاهرة، 2016م، ص 123 وما بعدها.
- 43 - عبد الوهاب المسيري، اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 2002م، ص 71. واليديشية هم يهود بولندا يتحدثون اليديشية؛ أي: أنهم يتكلمون الألمانية بلكنة سلافية وعبرية، ثم ضمت روسيا قطاعات منهم حين ضمت أجزاء من بولندا في أواخر القرن الثامن عشر، وقد حدث بينهم انفجار سكاني، فأصبحوا أكبر جماعة يهودية في العالم. انظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ص 41.
- 44 - عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج 3، ص 458.
- 45 - مارتن بوبر (1878 - 1965)، هو فيلسوف ألماني يهودي اشتهر بفلسفة الحوار، أحد أشكال الوجودية. حلولي، متطرف في حلوليته وجودي النزعة، كان لا يؤمن باليهودية الحاخامية أو بضرورة تطبيق الشريعة، ولم يقرأ التلمود على الإطلاق. ومع هذا، فإنه يُعدُّ من أهم المفكرين الدينيين اليهود في القرن العشرين. وهو من دعاة التصوف اليهودي. ويُعتبر بوبر أحد كبار مفسري العهد القديم، وأحد أهم مفكري الصهيونية ذات الديباجات الثقافية.
- 46 - المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل، تعريب وتقسيم وتقديم د. سهيل زكار، منشورات دار الكتاب العربي، دمشق، ط 1، 1997م، ص 704 ص 705.
- 47 - انظر: عبد المنعم الحفني، موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994م، ص 134.



48 - حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي ومذاهبه، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، 1971م  
ص 313

49- موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية؛ عبدالمنعم الحنفي، ص108  
50- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج 5، الباب الرابع، مدخل  
الحسيدية، ص 335

51 - كلمة (جيتو) تستخدم بشكل خاص للإشارة لأحياء اليهود في أوروبا، وقد أقيم أول جيتو يهودي  
في "روما" عام 1516م. وللجيتو أسماء متعددة، من بينها ما أطلق عليه: "الحي الرابع"، وهو محاط  
بالأسوار العالية، وقد انتشر الجيتو المغلق جدا في نهاية العصور الوسطى في إسبانيا وإيطاليا وأوروبا  
الشرقية وغالبا ما أُجبر اليهود على التجمع في أسوأ الأماكن من المدينة، وكانوا يضعون حارسًا على  
باب كل جيتو؛ لمنع اليهود من مغادرته في ساعات الليل، أو في الأعياد المسيحية. انظر: سناء عبد  
اللطيف صبري: الجيتو اليهودي، الدراسات الشامية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1990م ص  
13.

52 - إيليا أبو الروس، اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية، بيروت، دار الاتحاد، ط 1،  
1964م، ص 61